مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٢ - البحث ٩

جذور التكفير والعنف عند اليهود والنصارى

د. علاء محمد سعيد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له من دون الله وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد فإن فتنة التكفير التي ابتليت بها أمة الإسلام حتى أصبحت عند نفر ممن لا علم لهم بأصول الدين ولا فروعه شيئا يسيرا أن يرمي غيره فردا أو جماعة أو شعبا بأسره بالفسق أو الكفر أو الابتداع، أو المروق من الدين.

بل وصل الأمر مداه حينما نجد بعض الذين لا يحسنون القراءة والكتابة ممن فهموا الدين فهما خاطئا، وأعطوا لأنفسهم سلطانا على رقاب العباد في دنياهم وأخراهم، أن يكفروا العلماء والدعاة إلى الله تعالى بلا ذنب ولا جريرة، أو لخلاف فقهي، أو أمر دنيوي.

كل هذا يستوجب أن تكون هناك وقفة جادة تقوم على الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والتأصيل العلمي، والاستدلال الشرعي.

لمواجهة الفهم الأعوج، والجهل الأعمى، والهوى الذي ساد عند هؤلاء التكفيريين.

ويأتي هذا المؤتمر ليتصدى لهذه الظاهرة التي فُتنت بها فئة من أبناء أمتنا، ومن بني جلدتنا، لنعيدهم إلى رحاب الكتابة والسنة وهدي سلف هذه الأمة الصالح، بالدليل الشرعي الواضح، والنظر العلمي الثاقب، على أساس من الاتباع الصحيح، والقصد السليم والإخلاص لله تعالى، والمحبة والأخوة بين المؤمنين والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وتأتي هذه المشاركة المتواضعة في هذا المؤتمر المبارك، في إطار الوقوف على جذور التكفير عند غير المسلمين وكيف تسرب إلى المسلمين من عند غيرهم، لنعرف أن أمة الإسلام إنما هي أمة التوحيد والأخوة والرحمة، وأن هذه الظاهرة البغيضة وغيرها ليست ناشئة من الاتباع لكتاب الله ولا لسنة رسول الله – ﷺ –.

إنما هي ناشئة من اتباع سَنَن الأمم السابقة التي خالفت أمر الله تعالى واتبعت أهواءها وهذا ما حذرنا منه رسول الله – ﷺ – حينما قال (لَتَتَّبِعُن سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاع، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ: فَمَنْ ؟ !.)[1].

أهمية هذا الموضوع:

يأتي موضوع هذا المؤتمر الكريم في التصدي لهذه الظاهرة التي فرقت الأمة، وشتت شملها، وأوجدت العداوة والبغضاء بين نفر من أبنائها، ليحاول أن يضع حدا لهذا النزيف في جسد الأمة وفي فكرها وجهدها.

ويأتي موضوع دراسة جذور هذه الظاهرة عند اليهود والنصارى لندرك حجم الخطأ الكبير الذي وقعت فيه الأمم السابقة، والمآل الخطير الذي انزلقوا إليه بعد ولوجهم في هذه الفتنة وعدم استطاعتهم الخروج منها.

وما ترتب على ذلك من ذهاب حقيقة الدين بأصوله وأركانه وثوابته التي بعث الله بها الأنبياء والرسل.

ثم بعد ذلك ما ورثوه من عداوة وبغضاء وشحناء، جعلتهم فرقا متناحرة متباغضة.

ثم ما تأثرت به بعد ذلك الحياة العامة نظرة لاستشراء ظاهرة التكفير التي تعدت حدودها وتسلطوا بها على رقاب بعضهم، حتى جمدوا الحياة

(١) أخرجه أحمد ٣/٨٤(١١٨٢٢) و٣/٨٩(١١٨٦٥) و"البُخَارِي" ٤/٢٠٦(٣٤٥٦). و"مسلم" ٨/٥٧(٦٨٧٥).

وجففوا منابع العلم والبحث والنظر والتجريب.

فأدى ذلك إلى تمرد المجتمع بعد ذلك الدين وظهور ما عرف بالعلمانية المتطرفة التي أقصت الدين عن الحياة ورفضته رفضا تاما أو ركنته في زاوية ضيقة من زوايا الحياة.

كما هو مشاهد في المجتمعات الأوربية بل في أغلب دول العالم التي تأخذ بالنظام الغربي ليبراليا أو اشتراكيا.

وبعد هذه الدراسة المتواضعة التي قمت بها على عجالة لما كان عليه وضع اليهود والنصارى في أمر التكفير وأن هذا الأمر لا زال شائعا بينهم.

وبعد عدة لقاءات ومجادلات أو مقابلات مع بعض من يتبنون منهج التكفير خاصة بعد انتقالي لأسبانيا للعمل في ميدان الدعوة.

أجد شبها كبيرا بين الفريقين أعني ما كان عليه اليهود والنصارى في أمر التكفير لبعضهم، وما أصبح عليه من يتبنون هذا النهج من بين المسلمين في أيامنا هذا.

١ – من ناحية الأسباب والبواعث التي انطلقوا منها لتكفير غيرهم.

٢ – ومن ناحية الطريقة والأسلوب الذي يقومون به.

٣ – من ناحية النتيجة والأثر الذي ينتج عن ذلك.

وهذا ما سيلحظه كل قارئ من خلال قراءته للبحث في مواطن أشرت إليها بصريح العبارة عن أوجه الشبه بين الفريقين، منبها ومحذرا لكل مسلم ألا ينساق إلى هذا المرتع الوخيم، وهذه الهوة المهلكة.

أو يكفي ما ذكر ليتنبه العاقل اللبيب إلى ذلك.

سائلا الله تعالى أن يقبل العمل ويغفر الزلل ويجنبنا المراء والجدل.

وأن يوفقني وجميع المسلمين إلى ما يرضيه سبحانه وتعالى.

إنه ولي ذلك والقادر عليه . .

المبحث الأول

ما ورد في الكتاب والسنة

من تكفير اليهود والنصارى وخلافهم لبعضهم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز، الخالد المحفوظ بحفظ الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمدٍ – ﷺ – وبين فيه الحق والهدى والرحمة للعباد، وما يحتاجه العباد لدينهم ودنياهم وأخراهم، وجعله مهيمنا على ما سبقه من الكتب.

ومما كثر ذكره في القرآن الكريم أحوال الأمم السابقة، وما كان من أمرها لنأخذ العبرة والعظة ممن كان قبلنا.

كذلك بينت لنا آيات القرآن الكريم أحوال من سبقنا من بني إسرائيل خاصة اختلافهم وتفرقهم في دين واجترائهم على الله تعالى وغلوهم وانحرافهم عن المنهاج القويم قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

قال الإمام القرطبي رحمه الله:(وذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت.

والمعنى: إن هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل وما سقط من كتبهم من الأحكام)[1].

ومن ضمن مابينه الله تعالى في شأنهم هو غلوهم في دينهم وتكفيرهم لبعضهم سواء أكان بين طائفة واحدة منهم أو بين الطائفتين.

(١) الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبي ١٣ / ٢٠٧.

وكذلك كانت السنة المطهرة مبينة لأحوال أهل الكتاب بإخبار النبي – ﷺ – بما أطلعه الله عليه، أو بما كان من مواقف حدثت بين رسول الله تعالى وبين اليهود والنصارى.

ومن هذا ما يلي:

- **اختلافهم وتفرقهم بعد علمهم بالحق:**

بين الله تعالى في القرآن الكريم أن بني إسرائيل من اليهود اختلفوا في دينهم وتفرقوا بعدما جاءتهم الآيات البينات من ربهم، وهذا مدعاة لأن يكفر بعضهم بعضا.

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (أي: ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم، أي: ولم يكن لهم أن يختلفوا، وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس)[1].

وقال الله تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤].

ولذلك حذرنا الله تعالى من هذا الاختلاف ونهانا عن هذه الفرقة التي وقع فيها اليهود والنصارى من قبلنا قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

(١) تفسير القرآن العظيم الإمام بن كثير. ٤/ ٢٩٥. دار طيبة للنشر.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى:" ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ ومن العجائب أن اختلافهم ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

- **وجود العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم القيامة:**

بين الله تعالى أنهم بسبب جرأتهم وافترائهم على الله تعالى وعدم اتباعهم للحق جعل الله تعالى بينهم العداوة والبغضاء باقية إلى يوم القيامة، حتى ولو بدت لنا فيما بينهم بعض صور المودة والتعاون فهم أبدا لا يتعاونون على الخير والحق إنما على ما يمليه عليهم الشيطان ويزينه لهم في مواجهة الحق وأهله.

لكن حقيقة الأمر أن عداوتهم لبعضهم كبيرة وبغضهم شديد

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الارْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال الإمام بن كثير رحمه الله(وقوله: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة واقعة بين فِرقهم بعضهم في بعض دائمًا لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكذبوك.

وقال إبراهيم النَّخَعي: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ قال:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي.١٤٢/١.

الخصومات والجدال في الدين[1].

- **زعمهم أنهم المقربون من الله عما سواهم:**

فقد زعم اليهود والنصارى على الرغم من كل الافتراء الذي افتروه على الله تعالى وعلى أنبيائه ورسله أنهم المقربون إلى الله تعالى، وأنهم مفضلون على من سواهم من الخلق والناس، وهذا في تحقير للأمم الأخرى واستهانة بشأنها، ولكن الله تعالى رد عليهم قولهم.

قال الله تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

قال الإمام الألوسي رحمه الله:" ﴿ وَقَالَتِ اليهود والنصارى نَحْنُ أَبْنَاء اللَّه﴾ حكاية لما صدر من الفريقين من الدعوى الباطلة لأنفسهم، وبيان لبطلانها إثر ذكر ما صدر عن أحدهما من الدعوى الباطلة لغيره وبيان بطلانها أي قال كل من الطائفتين هذا القول الباطل، ومرادهم بالأبناء المقربون أي نحن مقربون عند الله تعالى قرب الأولاد من والدهم، و بالأحباء جمع حبيب بمعنى محب أو محبوب"[2].

قال السعدي رحمه الله:" ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلا منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل منهما: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾.

والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح.

قال الله ردا عليهم حيث ادعوا بلا برهان: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٧ دار طيبة للنشر.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.الإمام شهاب الدين الألوسي. ٤/ ٤٣٤.

بِذُنُوبِكُمْ ﴾ ؟

فلو كنتم أحبابه ما عذبكم [لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه]

﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ تجري عليكم أحكام العدل والفضل ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾[1].

- **تفضيلهم لأنفسهم على سائر الناس:**

ادعى اليهود والنصارى أنهم خير من الناس جميعا وبالتالي فلا حق للناس عليهم، خاصة اليهود الذين استحلوا دماء الناس وأموالهم.

قال الله تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:" وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ أي: إنَّمَا حَمَلهم على جُحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حَرَج في أكل أموال الأميين، وهم العرب؛ فإن الله قد أحلها لنا. قال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوا بهذه الضلالة، فإن الله حَرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بُهْت."[2].

- **غلوهم في دينهم**

غالى أهل الكتاب في دينهم وبعدوا عن الحق، فضلوا عن سبيل الله وصراطه المستقيم، وظهر فيهم الاعوجاج عن المنهج الصحيح الذي بعث الله به أنبياءه ورسله.

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٦١.

قال الله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال الإمام البغوي:" ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، والخطاب للذين في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: من اتبعهم على أهوائهم ﴿ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ عن قصد الطريق، أي: بالإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بإضلال من اتبعهم.

وقال الله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ [النساء: ١٧١].

- **تكفير اليهود والنصارى لبعضهم.**

الصراع بين اليهود والنصارى قديم في تكفير بعضهم لبعض، ونعت بعضهم بأقبح الأوصاف في البعد عن الحق، والانحراف عن هدي الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى لهم.

قال الله تعالى﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

قال ابن كثير رحمه الله:" يبين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم. كما قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله – ﷺ –، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله – ﷺ –، فقال رافع بن حُرَيْملة ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل. وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء. وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك من قولهما"[(١)].

قال السعدي رحمه الله:" وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد، إلى أن بعضهم ضلل بعضا، وكفر بعضهم بعضا، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم.

فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل، الذي أخبر به عباده، فإنه لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتثل أوامر ربه، واجتنب نواهيه، ومن عداهم، فهو هالك[(٢)].

- **قولهم مثل أقوال أهل الكفر:**

كذلك لم يتورع اليهود والنصارى أن يقولوا مثل أقوال أهل الكفر والضلال من الأمم الأخرى ومن عباد الأصنام والأوثان، فوقعوا في مثل ما

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٦٣.

وقعوا فيه وقالوا بأقوال أهل الكفر والضلال، وهذا كان أيضا مدعاة لأن يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا.

قال الله تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله:" فقال: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي: لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلاقهم، ﴿ يضاهئون ﴾ أي: يشابهون ﴿ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء، ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ وقال ابن عباس: لعنهم الله، ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ ؟ أي: كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل؟"[1].

- **عدم حبهم الخير لغيرهم:**

طبع أهل الضلال في كثير من الأحوال أنهم لا يحبون لغيرهم الهداية والرشاد وهذا ما كان من اليهود والنصارى مع المسلمين لما بعث الله تعالى محمدا وأرسله بالحق وأنزل الخير على يديه، فحسد اليهود والنصارى المسلمين على الخير الذي أنزله الله تعالى عليهم.

وكان الأولى بهم اتباعه والعمل به وتصديقه لا أن يحسدوا المسلمين عليه.

قال الله تعالى:﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

قال القرطبي رحمه الله: "فتأويل الكلام: ما يحب الكافرون من أهل

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٤.

الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله فنزله عليكم. فتمنى المشركون وأهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد – ﷺ – من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك، حسدا وبغيا منهم على المؤمنين.

وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع من قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون."[1].

قال السعدي رحمه الله: "وأخبر عن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، أنهم ما يودون ﴿ أَنْ يُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي: لا قليلا ولا كثيرا ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ حسدا منهم، وبغضا لكم أن يختصكم بفضله فإنه ﴿ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾"[2].

- **تمنيهم كفر الناس وضلالهم:**

كان الأجدر باليهود والنصارى الدعوة إلى الدين الصحيح الذي أرسل الله به نبيه موسى وعيسى عليهما السلام، ثم أرسل به محمدا – ﷺ –.

لكن لكفرهم وضلالهم يحبون الكفر على الإيمان والفسق والفجور على الهداية والرشاد، حقدا على أهل الإيمان وحسدا لهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن الإمام الطبري. ٤٧٠/٢ مؤسسة الرسالة.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦١/١.

قال الطبري رحمه الله: "ويعني جل ثناؤه بقوله:(حسدا من عند أنفسهم)، أن كثيرا من أهل الكتاب يودون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم يودونه لهم، من الردة عن إيمانهم إلى الكفر، حسدا منهم وبغيا عليهم."[1].

و قال الله تعالى:﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]

قال السعدي رحمه الله: "يحذر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة من أهل الكتاب، وأنهم يودون أن يضلوكم، كما قال تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾ ومن المعلوم أن من ود شيئا سعى بجهده على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرون عليه، ولكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله"[2].

- **عدم استجابتهم لدعوة الحق ودين الله الصحيح**

من سمات أهل الباطل الإعراض عن الحق وعدم الاستجابة لأهله.

وهذا مما حدث ولا زال من كثير من اليهود والنصارى قديما وحديثا.

فمع وضوح الأدلة والبراهين على صدق محمد – ﷺ – فيما جاء به من عند ربه.

ومع أن دعوة الإسلام تدعوهم إلى التمسك بأصول شرائعهم الصحيحة التي جاء به الأنبياء من قبل، وأنزلها الله في التوراة والإنجيل إلا أنهم يصدون ويعرضون.

قال الله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) جامع البيان ٢/ ٥٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/ ١٣٤.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال الطبري رحمه الله: "واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية.

فقال بعضهم: نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا حَوالي مدينة رسول الله – ﷺ –.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبيّ الله – ﷺ – دعا يهودَ أهل المدينة إلى الكلمة السواء، وهم الذين حاجوا في إبراهيم.

ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: بلغنا أن نبي الله – ﷺ – دعا يهودَ أهل المدينة إلى ذلك، فأبوا عليه، فجاهدهم = قال: دعاهم إلى قول الله عز وجل:"قل يا أهل الكتاب تَعالوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"، الآية.

وقال آخرون: بل نزلت في الوفد من نصارى نجران.

ذكر من قال ذلك:

ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير:"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم" الآية، إلى قوله: ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾، قال: فدعاهم إلى النَّصَف، وقطع عنهم الحجةَ – يعني وفد نجران.

– حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: ثم دعاهم رسُول الله – ﷺ –. – يعني الوفدَ من نصارى نجران – فقال:"يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"، الآية.

– حدثني يونس قال، أخبرني ابن وهب قال، حدثنا ابن زيد قال قال: يعني جل ثناؤه:"إنّ هذا لهو القصص الحقّ"، في عيسى = على ما قد بيناه فيما مضى

قال: فأبوا – يعني الوفدَ من نجران – فقال: ادعهم إلى أيسر من هذا، "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"،

فقرأ حتى بلغ:"أربابًا من دون الله"، فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر"[1].

- **قولهم في دين الله بلا علم ومجادلتهم بلا بينة:**

يظهر الكفر والتكفير في الأمم التي تتجرأ على دين الله تعالى وتقول على الله تعالى بلا علم ولا بينة، وتفترى على رسل الله، وتؤول كتبها بلا دراية ولا فهم.

وهذا ما حدث بين اليهود والنصارى.

قال الله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالانْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥، ٦٦].

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه:"ها أنتم"، القومَ الذين[قالوا في إبراهيم ما قالوا "حاججتم"، خاصمتم وجادلتم "فيما لكم به علم"، من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وأتتكم به رسل الله من عنده، وفي غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته"فلم تحاجون"، يقول: فلم تجادلون وتخاصمون"فيما ليس لكم به علم"، يعني: في الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه، ولم تجدوه في كتب الله، ولا أتتكم به أنبياؤكم، ولا شاهدتموه فتعلموه؟"[2].

- **كفرهم بدين الله الحق بعد وضوح الأدلة لهم.**

حين يطمس الله على قلب الإنسان وبصيرته، تظهر له الأدلة الواضحة

(١) جامع البيان. الطبري. ٦/ ٤٨٥.

(٢) جامع البيان ٦/ ٤٩٣.

الناصعة، والبراهين الصادقة القاطعة على الحق وطريقه، فيعرض ويستكبر، ويعمي قلبه وعينه الكبر والهوى واتباع الشهوات، وهذا ما عرف عن اليهود والنصارى بعد أن جاء النبي محمد – ﷺ –.

قال الله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠].

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه:"يا أهل الكتاب"، من اليهود والنصارى "لم تكفرون"، يقول: لم تجحدون "بآيات الله"، يعني: بما في كتاب الله الذي أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم، من آيه وأدلته"وأنتم تشهدون" أنه حق من عند ربكم[1].

قال السعدي رحمه الله:" أي: ما الذي دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل، وأن ما جاءكم به محمد – ﷺ – هو الحق الذي لا تشكون فيه، بل تشهدون به ويسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات، فهذا نهيهم عن ضلالهم.

ثم وبخهم على إضلالهم الخلق، فقال ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهما وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة

(١) السابق ٦/ ٥٨٠.

من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون"[1].

- **عدم عملهم بكتاب الله الذي أنزله عليهم.**

من الواضح البين لدى اليهود والنصارى منذ قديم الزمان استهانتهم بدين الله تعالى وإعراضهم عن الذي أنزله الله تعالى عليهم، وتركهم لأوامر الله تعالى وتعديهم على حدوده، وارتكابهم لما حرم الله تعالى.

ومما لاشك فيه أن الأمة التي تفعل ذلك يضرب الله قلوب بعضها ببعض فيكفر بعضها بعضا ويلعن بعضها بعضا

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

قال الطبري رحمه الله: "وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤوا على محارم الله، وتهاونوا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه –وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية– أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم"[2].

- **تحريفهم وتزييفهم لكلام الله تعالى:**

تشهد الأدلة القاطعة التاريخية والعلمية على أن التوراة والإنجيل قد حدث

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ١٣٤.

(٢) جامع البيان ١/ ١٦٠.

فيها تبديل وتغيير وتحريف وتزييف.

هذا التبديل والتحريف الذي حدث لم يتم بيد خارجية تآمرت على دينهم أو عن طريق الخطأ والسهو والنسيان.

إنما امتدت يدهم الآثمة لكلام الله تعالى الذي أنزل عليهم لتحرف وتزيف عن عمد ومعرفة بما تفعل.

ولا شك أن ذلك من أكبر الجرائم في دين الله تعالى.

قال الله تعالى:﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال بن كثير رحمه الله:" يقول تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ أي: ينقادوا لكم بالطاعة، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ أي: فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله؟ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ١٣]"[1].

وقال الله تعالى:﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا ﴾ [النساء: ٤٦].

وقال الله تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير. ١/ ٣٠٧.

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الادْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الاخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

- **كتمانهم للحق مع علمهم به:**

مما هو معروف جلي بين اليهود والنصارى أنهم يكتمون الحق ولا يظهرونه، ولا يقولون أو يعملون به.

إنما من طباعهم كتمان الحق، وإظهار الباطل لأوهى الأسباب وأقل العلل، وهذا السبب الأكبر في ضياع دينهم وتشتت أمرهم.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

قال ابن كثير رحمه الله" أي: تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد – ﷺ – وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه"[1].

وقال الله تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقال الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

قال ابن كثير رحمه الله: يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله

(١) السابق ٢/ ٥٩.

فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه[1].

و قال الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله:"إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء"، وفي تأويل ذلك.

فقال بعضهم: كان قائل ذلك رجلا من اليهود.

ثم اختلفوا في اسم ذلك الرجل.

فقال بعضهم: كان اسمه: مالك بن الصيف.

وقال بعضهم: كان اسمه فنحاص.

واختلفوا أيضًا في السبب الذي من أجله قال ذلك.

ذكر من قال: كان قائل ذلك: مالك بن الصيف.

– حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي – ﷺ –، فقال له النبي – ﷺ –: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يُبْغِض الحَبْر السمين؟ وكان حبرًا سمينًا، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء ! فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا موسى! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء ! فأنزل الله:"وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى"، الآية.

(١) السابق ٣ / ٦٧.

وقال آخرون: بل عنى بذلك جماعة من اليهود، سألوا النبي – ﷺ – آيات مثل آيات موسى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد قال، حدثنا يونس قال، حدثنا أبو معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناسٌ من يهودَ إلى النبيّ ﷺ وهو مُحْتَبٍ، فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء، كما جاء به موسى ألواحًا يحملها من عند الله؟ فأنزل الله: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً، الآية[سورة النساء: ١٥٣]. فجثا رجل من يهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئًا! فأنزل الله:"وما قدروا الله حق قدره". = قال محمد بن كعب: ما علموا كيف الله "إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا"، فحلَّ رسول الله – ﷺ – حُبْوته، وجعل يقول:"ولا على أحَدٍ"[(١)].

- **استهانتهم بالإيمان والكفر:**

أهل الكفر والتكفير يستهينون بدين الله تعالى ولا يثبتون على حال من الأحوال، فتراهم يعيشون في ظلمات يتخبطون فيها، لا يتذوقون حلاوة الإيمان.

فيستهينون بالكفر وتكفير غيرهم، ولا يلقون بالا لأن يصفوا غيرهم بالكفر، أو يصفهم غيرهم به.

وهذا حال اليهود والنصارى في استهانتهم بالإيمان والكفر، ومحاولة اليهود لإضلال المسلمين بهذه الطريق الخبيثة.

قال الله تعالى ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى

(١) جامع البيان الطبري. ١١/ ٥٢٢.

الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه مكيدة أرادوها ليلْبسُوا على الضعفاء من الناس أمْر دينهم، وهو أنهم اشْتَوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويُصلّوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما رَدّهم إلى دينهم اطّلاعهُم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، في قوله تعالى إخبارًا عن اليهود بهذه الآية: يعني يهود، صَلَّت مع النبي – ﷺ – صلاة الفجر وكفروا آخر النهار، مكرًا منهم، ليُرُوا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة، بعد أن كانوا اتبعوه.

وقال العَوْفِي، عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فَصلّوا صلاتكم، لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا. "[1].

- **تكذيبهم وقتلهم للأنبياء والرسل:**

تجرأ أهل الكتاب من قبل لا سيما اليهود على الأنبياء والرسل تجرأ عظيما وتطاولوا عليهم تطاولا كبيرا، كما يفعل كثير من التكفيريين الآن.

فنرى اليهود يكذبون الأنبياء ويؤذونهم ويعارضوهم ويعاندوهم، ويصل الحد بهم إلى قتل الأنبياء واستباحة دمهم.

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

قال ابن كثير رحمه الله:" ينعت، تبارك وتعالى، بني إسرائيل بالعتو

(١) تفسير القرآن العظيم. ٢ / ٥٩.

والعناد والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم، فذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب –وهو التوراة–فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها. وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ الآية [المائدة: ٤٤]، ولهذا قال: ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ قال السدي، عن أبي مالك: أتبعنا. وقال غيره: أردفنا. والكل قريب، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون: ٤٤] حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات، وهي: المعجزات. قال ابن عباس: من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، وإبرائه الأسقام، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام –ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به. فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحَسَدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض، كما قال تعالى إخبارًا عن عيسى: ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية [آل عمران: ٥٠]. فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة، ففريقًا يكذبونه. وفريقًا يقتلونه، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾"[1].

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٢١.

- **تأييدهم لأهل الباطل ضد أهل الإيمان:**

وصف الله تعالى أهل الكتاب بأنهم يساندون أهل الباطل من عباد الأوثان وغيرهم ضد أهل الإيمان والإسلام.

والأصل أن المسلمين أقرب إلى دينهم وملتهم، ولكن طباعهم الخبيثة، وحقدهم على المسلمين تجدهم يساندون عباد الأحجار والأوثان، وهكذا من يعتدي على حرمات أهل الإيمان فتجده يصف إخوانه المسلمين بأنهم شر من اليهود والنصارى وعباد الأوثان.

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا ﴾ [النساء: ٥١].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد. فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج -ومحمد صنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج بنو غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً"[1].

(١) السابق ٢ / ٣٣٤.

المبحث الثاني

جذور التكفير والعنف في كتب اليهود والنصارى

ففي كتب اليهود والنصارى التي حرفت وبدلت بأيدي القوم ما يدل على القسوة في التعامل مع الآخرين وعدم استعمال الرحمة والرفق بهم مما ينتج عنه في كثير من الأحوال التكفير والاعتداء على الحرمات من الدم والمال والعرض.

خاصة إذا لم يكن من بني جنسهم.

ومن هذا مما جاء في كتب اليهود والنصارى:

- **أولا: جذور التكفير والعنف في كتب اليهود:**

يعتمد اليهود على التوراة المحرفة وهي في أصلها قبل تحريفها كتاب الله المنزل على موسى عليه السلام والتلمود الذي هو المعروف بالشريعة الشفوية المنقولة عن الأنبياء وعن الحاخامات أيضا.

وهذه الكتب المقدسة عندهم تطفح بالغلو والتكفير والعنف في حق بعضهم البعض وفي حق الإنسانية كلها.

- **التواراة:**

ما جاء من النصوص في أسفار التوراة من القسوة والعنف وتكفير الآخرين ولعنهم:

- "واخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرّهم في أتون الآجرّ وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم"[1].

(١) صموئيل الثاني ١٢:٣١.

- "وقال لأولئك في سمعي اعبروا في المدينة وراءه واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا"(١).
- "الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي. فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت"(٢).
- "وقال لهم نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى. اخرجوا. فخرجوا وقتلوا في المدينة"(٣).
- "فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا و رضيعا.بقرا وغنما. جملا وحمار"(٤).
- "واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار"(٥).
- "وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف"(٦).
- "وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نسائهم"(٧).
- "تجازى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها السيف يسقطون. تحطم أطفالهم والحوامل تشقّ"(٨).

طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة"(٩).

(١) حزقيال ٩:٥.
(٢) حزقيال ٩:٦.
(٣) حزقيال ٩:٧.
(٤) صموئيل الأول ١٥:٣.
(٥) العدد ٣١:١٠.
(٦) يشوع ٦:٢١.
(٧) أشعياء ١٣:١٦.
(٨) هوشع ١٣:١٦.
(٩) مزامير" ١٣٧:٩.

- **التلمود:**

ما جاء في التلمود:

- يسمّي التلمود(عيسى عليه السلام) بيسوع بالنوصري، وإنّ الصلاة اليهوديّة والتي تسمّى "التفيلة" والتي تُردّد ثلاث مرّات يوميّا في الكنيس تذكر النصارى وتلعنهم وجاء فيها:" ليكنْ كلّ الكافرين بلا أمل، ولتجتثّهم مملكة التغطرس من جذورهم في أيّامنا.

ولينذثر النصارى والهراطقة في غمضة عين، وليمحَوا من كتاب الحياة ولا تكتب أسماؤهم مع الأتقياء، بورك يهوه مذلّ المتغطرسين.

- (أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه أتت به من العسكري (باندارا) بمباشرة الزنى، وأن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع مسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به، وأنه من الواجب ديناً أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل)[1].
- وفى التلمود"ولا يدخل الجنة إلا اليهود. أما الجحيم فهو مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين. ويوجد في كل محل منه زيادة على ذلك: ستة آلاف صندوق، في كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملأى من الصبر.
- والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لا يختنون كالمسيحيين الذين يحركون

(١) انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ز مصطفى الزرقا.ص ١٥.

أصابعهم (يفعلون إشارة الصليب) يبقون هناك خالدين." [1].

- (أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله. وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة) [2].

هذا غير ما في التلمود عندهم من أمور أخرى يندي جبين الإنسانية لها والتلمود عندهم يعتبرونه وحيا من الله ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ للأنبياء والحاخامات وهو مقدم عندهم على التوراة، وفيه:

- حرمة الدم اليهودي وإهدار دم الأغيار وإبادتهم.
- لا يجب إخراج غير اليهودي من بئر.
- علاج المريض اليهودي وتحريم علاج غير اليهودي.
- العفة مع المرأة اليهودية والزنا بنساء الأغيار.
- تحريم سرقة اليهودي واستحلال سرقة الأغيار:
- تحريم النصب والخداع لليهودي وإباحة ذلك مع الأغيار.
- خداع الرب من جانب الحاخامات.
- تحريم الربا مع اليهود ووجوبه عند إقراض الأغيار.
- تحريم بيع العقارات في أرض إسرائيل لغير اليهود.
- تحريم ولاية الأغيار على اليهود.
- تحريم أهلية الأغيار.
- تحريم مهاداة الأغيار.
- لعن الأغيار لأنهم كلاب والدعاء عليهم بالدمار.
- تعميم اللعن حتى على الأنبياء.
- تعميم اللعن على أموات الأغيار وأمهاتهم.

(١) السابق ٤٤.

(٢) السبق ٤٦.

- استعباد الأغيار.
- إنكار إنسانية الأغيار واعتبارهم شياطين وكلابا وخنازير وحميرا[1].

هذه هي اليهودية التلمودية وتعاليمها الشيطانية التي تعتبر بما في كتبها وتعاليمها ليست مسألة دينية تجمع بين الكفر والتكفير فقط إنما عملية إجرام وإبادة للإنسانية كلها منذ قديم الزمن وفي واقعنا المعاصر.

فهم كما وصفهم الله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الارْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

- **ثانيا: جذور التكفير والعنف في كتب النصارى:**
- **الإنجيل:**

ففي نصوص الإنجيل أيضا ما يدعو للعنف والتكفير

فمن ذلك:

مما يدل على استخدام العنف والقسوة في التعامل مع الآخرين على عكس ما هو معروف ومشهور مما يدعيه النصارى من الرأفة والرحمة مما يتظاهر به النصارى:

- "أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي"[2].

(١) انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود. مصطفي الزرقا ص ٢٣ ، الإسلام والآخر من يعترف بمن ومن ينكر من د. محمد عمارة ص ٣٢، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود. إسرائيل شاحاك ص ١٣٣، موسوعة اليهود واليهودية والهيونية د. عبد الوهاب المسيري. جـ ٣ ص ٣٦٨.

(٢) لوقا ١٩:٢٧.

- "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا"[1].

والسباب والشتم والتكفير واللعن كما جاء - زورا وبهتانا وافتراءا - على لسان المسيح في الإنجيل:

هذا بعض ما نطق به في حقهم، جاء في إحدى بعض النصوص في الإنجيل:

- قوله لهم (أنتم أولاد أبيكم إبليس)[2].
- وفي أخرى (الويل لكم يا معلّمي الشّريعة والفَرّيسيّون المراؤون)[3].
- وأخرى (الويل لكم أيّها القادة العميان!)[4].
- وأخرى (أيّها الجهّال العميان)[5].

وفي مواقف عدّة كان يصف المسيح اليهود من الكتبة وعلماء الشّريعة بأولاد الأفاعي، منها قوله:

- (أيّها الحيّات أولاد الأفاعي كيف ستهربون من عقاب جهنّم)[6].
- وفي أخرى (يا أولاد الأفاعي، كيف يمكنكم أن تقولوا كلامًا صالحًا وأنتم أشرار)[7].
- ويتوالى السّباب فلا يترك أحدًا إلاّ ووصفه بكلمات شديدة لا توحي بالرّحمة أو الشّفقة أو الأدب مع المخاصم، يقول الإنجيل إنّ المسيح وبّخ جموعًا من النّاس عندما جاءته تطلب منه آية على صدق دعوته فردّ عليهم

(١) متى ١٠:٣٤.
(٢) يوحنّا ٨: ٤٤.
(٣) متّى ٢٣: ١٣.
(٤) متّى ٢٣: ١٦.
(٥) متّى ٢٣: ١٧.
(٦) متّى ٢٣: ٣٣.
(٧) متّى ١٢: ٣٤.

(جيل شرّير فاسق يلتمس آية) [1].

- ويقول المسيح في أحد أمثاله لأعدائه (ابتعدوا عنّي يا ملاعين إلى النّار الأبديّة المهيّأة لإبليس وأعوانه) [2].
- وجاءت طائفة الصّدوقيّين، وهم يهود يسألون ويستفتون المسيح في امرأة تزوّجت سبعة رجال واحدًا تلو الآخر، فلمن تكون يوم القيامة فردّ عليهم (أنتم في ضلال... فما أعظم ضلالكم) [3].
- ويخاطب المسيح بعض المجهولين في طريق أورشليم ويخبرهم بأنّه سينكرهم يوم القيامة ويقول (ابتعدوا عنّي كلّكم يا أشرار) [4](أنتم الأشرار) [5].
- فكان المسيح يدعو جيله بالجيل الشرّير كما في إنجيل متّى [6].
- لم يترك إهانة إلاّ وألصقها بأعدائه اليهود، فالعلماء عنده (عميان قادة عميان، وإذا كان الأعمى يقود أعمى كلاهما يسقط في حفرة) [7].
- وهم فسّاق وفاسدون، لأنّهم يطلبون منه آيات محكمات على صدق نبوّته وصحّة ما ينسبه لنفسه، (جيل فاسد فاسق يطلب آية) [8].
- (ولّما رجعوا إلى الجموع، أقبل إليه رجل وسجد، وقال له ارحم ابني يا سيّدي، لأنّه يصاب بالصّرع ويتألّم ألمًا شديدًا، وكثيرًا ما يقع في النّار والماء، وجئت به إلى تلاميذك فما قدروا أن يشفوه فأجاب يسوع –مخاطبًا

(١) متّى ١٦: ٤.
(٢) متّى ٢٥: ٤١.
(٣) مرقس ١٢: ٢٤ – ٢٧.
(٤) لوقا ١٣: ٢٧ ومتّى ٧: ٢٣.
(٥) متّى ٧: ١١.
(٦) متّى ١٢: ٤٥. ومتّى ١٢: ٣٨.
(٧) متّى ١٥: ١٤.
(٨) متّى ١٦: ٤.

تلاميذه–: أيّها الجيل الكافر الفاسد إلى متى أبقى معكم؟ وإلى متى أحتملكم؟ قدّموا الصّبيّ إلى هنا!) [1].

- وقوله لبطرس الذي يدعي النصارى أنه الحواري المقدم لدى المسيح والتي تنسب كنيسة بطرس بالفاتيكان له.

(قال المسيح لبطرس أنت الصّخرة وعليك تُبنى كنيستي... فالتفت المسيح وقال لبطرس: ابتعد عنّي يا شيطان! أنت عقبة في طريقي) [2].

- **المجامع النصرانية:**

المجامع النصرانية التي عقدها النصارى للبحث في مسائلهم ومشكلاتهم، كانت كلها تكفيرا ولعنا لبعضهم البعض.

فمجامعهم كما وصفها ابن القيم: " كانت تجتمع على الضلال، وتفترق على اللعن، فلا ينفض مجمع إلا وهم ما بين لاعن وملعون "

- في عهد الإمبراطور قسطنطين، أصدر مرسوما ملكيا باعتبار الدين النصراني دينا مسموحا به في الدولة الرومانية، وأرجع أملاك النصارى المصادرة، ورد لهم هيبتهم بين الناس.

غير أن فترة الرخاء تلك قد أظهرت ما كان مستترا فترة الاضطهاد من التفرق والاختلاف في المذاهب والآراء حول قضايا جوهرية من العقيدة النصرانية، الأمر الذي أقلق الإمبراطور قسطنطين فما كان منه أمام هذه المعضلة إلا أن عقد مجمعاً – مجمع نيقية سنة ٣٢٥م – دعا إليه علماء النصارى ليتباحثوا فيما آل إليه أمر النصرانية من التفرق والشتات في المذاهب والآراء، فحضر المجمع – حسب تقدير بعض مؤرخيهم – (٢٠٤٨) أسقفاً، وكانت آراؤهم متباينة أشدَّ التباين، فمنهم من يقول: إن المسيح وأمه إلهان، وهم

(١) متّى ١٧: ١٤ – ١٧، ولوقا ٩: ٤١.

(٢) متّى ١٦: ١٣ – ٢٣

البربرانية

ومنهم من يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها.

ومنهم من كان يقول: لم تحبل مريم بعيسى تسعة أشهر، وإنما مرَّ في بطنها كما يمرُّ الماء في الميزاب، ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت، ويرون الله جوهراً قديماً واحداً، وأقنوماً واحداً، ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بالروح القدس، إلى آراء كثيرة متعارضة متناقضة، فاجتمع الأساقفة لمناقشة تلك الآراء، فاختلفوا اختلافا شديداً.

ورأى (٣١٨) أسقفاً القول بألوهية المسيح، وأنه ابن الله – في زعمهم – أي من ذات الله، وأنه مساو لله جل وعلا، وأنه مولود منه غير مخلوق، كما رأوا أن هذا الإله تجسد في صورة البشر لخلاص الناس ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت، فاستهوى هذا الرأي الإمبراطور الروماني، فقرره، وفرضه على بقية الأساقفة،

وقرروا لعن رأي آريوس الذي كان يعتقد أن المسيح عبد مخلوق محدث بعد أن لم يكن، ولم يكن المخالف هو أريوس واتباعه وحدهم، بل إن جل المجتمعين لم يوافقوا على قرارات المجمع، وإن لم تتفق آراؤهم فيما بينهم.

غير أن قوة السيف كانت هي الحكم في نهاية المطاف فاختتم مجمع نيقية جلساته بتلك القرارات، وأصبح من يخالف تلك الآراء متهماً بالهرطقة – الكفر – معرضا نفسه للمحاسبة والعقاب الشديد، فعاشت النصرانية طورا آخر من أطوار الاضطهاد ولكنه بسيف النصرانية هذه المرة.

- نظرا لأن قرارات مجمع نيقية لم تتخذ بناء على دلائل وبراهين يسلم بها المخالف، ويقتنع بها الموافق، فقد طرأ للإمبراطور الروماني ما جعله يغير رأيه ويرجع إلى رأي أريوس، فعقد مجمعا آخر – مجمع صور سنة ٣٣٤م –

رجع فيه عن القول بألوهية المسيح، وقرر فيه إعادة أريوس إلى الكنيسة وخلع " أثنا سيوس " وكان من أشدِّ أنصار قرارات مجمع نيقية.

نشأة الكنيسة الأرثوذكسية:

نادى الأسقف (دسقورس) بطريرك الإسكندرية بأن المسيح –عليه السلام– ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة يتلاقى فيها اللاهوت بالناسوت، وفيها يظهر الله غير المنظور في صورة منظورة، أو كما يعبر الأرثوذكس (الله المتأنس) – تعالى الله عن ظلمهم وإفكهم– فنادت طائفة الملكانية إلى عقد مجمع مسكوني لصد بدعة اليعقوبية القائلين بأن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، فعقد مجمع خلقيدونية (٤٥١م)، وقرر تكفير (دسقورس) ولعنه ونفيه عن الإسكندرية، غير أن المصريين لم يرضوا بغيره بديلاً، الأمر الذي دفعهم إلى الانسلاخ عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وإنشاء الكنيسة المصرية الأرثوذكسية.

نشأة الكنيسة المارونية:

ظهرت المارونية عام (٦٦٧م) على يد (يوحنا مارون)، الذي انشق باتباعه عن الكنيسة الكاثوليكية، بسبب اعتقاده بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة فقط؛ لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد أو شخصية واحدة، فدعت الكنائس الكاثوليكية الشرقية عام (٦٨٠م) إلى عقد مجمع حضره (٢٨٦) أسقفاً، وهو (مجمع القسطنطينية الثالث)، حيث تقرر فيه ما عليه الكاثوليك من أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وعلى ذلك تم تكفير ولعن المارون، وتمت مطاردتهم حتى استقروا في جبال لبنان، إذ ترأسهم بطريرك لبنان، وظلوا مستقلين بمذهبهم إلى أن أعلنوا الولاء لكنيسة روما عام (١١٨٢م) مع بقائهم على مذهبهم.

المبحث الثالث
وقائع التاريخ في التكفير والعنف
بين اليهود والنصارى

أولا: وقائع من التاريخ في تعامل فرق اليهود مع بعضها:

على مدار التاريخ اليهودي كان بين الجماعات والفرق اليهودية ظاهرة التكفير واللعن لبعضهم البعض، وإن كان الأمر بالنسبة لليهود غير ظاهر للعيان كما كان بين النصارى نظرا لعدة أمور أهمها:

١ – قلة عدد اليهود ومعتنقي الديانة اليهودية فلذلك كانت هذه الحوادث قليلة.

٢ – حرص اليهود أنفسهم كما يقول: (إسرائيل شاحاك) على إخفاء ذلك عن غيرهم في كتاباتهم وتدويناتهم لأمورهم فهم لا يظهرون ذلك بل أيضا يعملون جاهدين على ألا يظهرهم أحد بهذه الصورة وألا يتعرف الناس على أمورهم الداخلية وشئونهم الدينية.

٣ – الصورة التي يظهرون بها للعالم دائما أنهم تعرضوا لظلم غيرهم من الأمم على مدار التاريخ، وما حدث لهم من مذابح ومحارق، فلا يظهر ما حدث بينهم بشكل واضح.

ومع ذلك فمما هو معروف أنه كان للطوائف اليهودية منذ عهد الإمبراطورية الرومانية المتأخرة سلطة قضائية كبرى على أفرادها. سلطة تستخدم كل نفوذها في فرض سلطانها على اليهود بل بمساندة كثير من الدول التى عاشوا فيها.

(على سبيل المثال:

- رفض التعامل بأي شكل من الأشكال مع يهودي محروم دينيا أو حتى دفن جثته)
- بل ومن القمع السافر أيضا سلطة تجلد ، وتسجن , وتطرد.

وقد كان من الممكن إيقاع كل تلك العقوبات ، بصفة شرعية تماما ، بحق اليهودي الفرد ، من جانب المحاكم الحاخامية المختصة بكل أنواع الجنايات.

- وفي بلدان كثيرة أسبانيا وبولندا مثلان بارزان) كان من الممكن الحكم حتى بعقوبة الإعدام ، وقد صدر الحكم بها ، أحيانا ، باستخدام طرق وحشية مثل الجلد حتى الموت.
- في الحقوقيات الأسبانية العائد تاريخها إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، سجلات لعديد من الأوامر التفصيلية الصادرة عن ملوك قشتالة وأراغون الكاثوليك الورعين تعلم موظفيهم ، الذين لا يقلون عنهم ورعاً ، بالتعاون مع الحاخامات في مراعاة احترام السبت من جانب اليهود. لماذا ؟ لأن الحاخامات عندما يغرمون يهودياً انتهك حرمة السبت ، عليهم تسليم تسعة أعشار الغرامة للملك.
- بالقدر نفسه يمكننا الاستشهاد بفتوى دينية كتبها الحاخام الذائع الصيت موشى سوفير ، حاخام مدينة برسبرغ " تدعى الآن براتسلاف" الموجودة فيما كان يعرف وقتئذ بالمملكة المجرية ذات الحكم الذاتى في الإمبراطورية النمساوية ، وقد كتبها قبيل العام ١٨٤٨ ووجهها إلى يهود فيينا على نحو خاص ، حيث نال اليهود هناك بعض الحقوق الفردية التي يعتد بها نعى سوفير حقيقة أن اليهود في فيينا أصبحوا متساهلين في تطبيق التعاليم الدينية منذ فقدان الطائفة اليهودية هناك السلطة عقاب

المذنبين وأضاف " هنا ، في برسبرغ ، عندما يقال لي إن بقالا يهوديا تجرأ وفتح دكانه في الأعياد أرسل على الفور شرطيا لاعتقاله ."

هذه أهم حقيقة اجتماعية للوجود اليهودي قبل حلول عصر الدولة الحديثة:

مراعاة التعاليم الدينية اليهودية ، وغرسها في الأذهان يتمان بالإكراه المادي الذي لا يجد الإنسان مهربا منه إلا باعتناق ديانة الأغلبية، أو الإقدام على قطيعة اجتماعية كاملة، وتم كتابة التاريخ اليهودي بطريقة مخادعة وعاطفية وبالغة الرومانسية حذفت منها الحقائق.

- **لذلك لن يجد الإنسان في كتابات حنا أرندت الغزيرة سواء حول الاستبداد ، أو اليهود أو كليهما أدنى إشارة إلى ما كان عليه المجتمع اليهودي في القرن الثامن عشر:**

إحراق كتب ، اضطهاد كتاب ، نزاعات حول القوى السحرية للتمائم ، حظر معظم التعليم الابتدائى " غير اليهودي " مثل كتابة اللغة الألمانية دون أخطاء أو حتى الألمانية المكتوبة بالأبجدية اللاتينية.

يقول إسرائيل شاحاك عن واقع اليهود: للمرة الأولى منذ القرن الثاني للميلاد ، أن يفعل ما يشاء في حدود القانون المدني لبلده ، دون الاضطرار لدفع ثمن هذه الحرية باعتناق ديانة أخرى، أتيحت لليهود حرية معرفة وقراءة الكتب باللغات الحديثة ، حرية القراءة والكتابة بعبرية لم تحظ بموافقة مسبقة من الحاخامات (كما كان الحال بالنسبة لأي كتاب بالعبرية أو اليديشية من قبل).

حرية تناول طعام غير مباح ، حرية تجاهل المحرمات العبثية العديدة المنظمة للحياة الجنسية ، وحتى حرية التفكير ، لأن " الأفكار المحظورة " كانت من بين أبشع المعاصي. أتيحت كل تلك الحريات ليهود أوروبا (وبالتالي

ليهود البلدان الأخرى) من جانب الأنظمة الأوروبية الحديثة، وحتى الاستبدادية ، رغم أن الأخيرة كانت في نفس الوقت قمعية ومعادية للسامية.

- كان نيقولا الأول، قيصر روسيا، ضد اليهود ذائع الصيت، وقد أصدر الكثير من القوانين المعادية لليهود، لكنه عزز أيضا عناصر "الأمن والنظام " في روسيا، ليس من خلال الشرطة السرية وحسب ، ولكن من خلال الشرطة النظامية والحرس والوطني أيضا ، حتى أصبح قتل اليهود بأمر من حاخاماتهم أمرا صعبا ، بينما كان من السهل القيام بذلك في بولندا ما قبل العام ١٨٩٠ ، إن التاريخ " الرسمي" اليهودي يدين نيقولا الأول بسبب تعزيزه للنظام.
- حدث مثلاً، في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر أن أمر حاخام مقدس" "(تساديك) في بلدة يهودية صغيرة بأوكرانيا بقتل يهودي مهرطق ، وذلك بإلقائه في الماء المغلي لحمامات البلدة ، وبهذا الصدد تبدي المصادر اليهودية المعاصرة ذعرا ودهشة بالغة ليس لأن الرشوة "لم تعد مؤثرة" وحسب، بل لأن الفاعلين وكذلك الرجل المقدس عوقبوا بقسوة أيضا.
- كما كان نظام ميترنيخ في النمسا ما قبل العام ١٨٤٨ رجعيا سيء السمعة، ولا يكن أدنى مشاعر ودية لليهود ، لكنه لم يسمح بقتل الناس بالسم، بما في ذلك حاخامات يهود لسيبراليين.

وخلال عام ١٨٤٨. عندما وهنت قوة النظام ، مؤقتا ، كان أول ما فعله زعماء الطائفة اليهودية في مدينة لمبرغ الغاليسية (تدعى الآن لفوف) بحر يتهم المكتسبة حديثا قتل حاخام المدينة الليبرالي بالسم ، ذلك الحاخام الذي استوردته مجموعة صغيرة كمن اليهود غير الأرثوذكس من ألمانيا ليشرف على شؤونها الدينية. وبالمناسبة ، كانت إحدى هرطقاته إجراء احتفال الميتسفاه ، المبتدع حديثا في ذلك الوقت.

- حاخامات اليهود الذين أصدروا فتوى أو بيان «الحرم» في القرن السابع عشر، للفيلسوف الهولندي اليهودي سبينوزا، وحكموا بكفره وخروجه عن حيز الجماعة لأنه تجرأ وقدم تصورا عن الوجود والطبيعة الإلهية تختلف عن تعاليم مؤسسة الكنيس اليهودي، وقالوا في نص فتواهم تلك، ويا للعجب في تكرار الصياغات رغم اختلاف الديانات! قالوا: «بقرار الملائكة وحكم القديسين نحرم ونلعن وننبذ ونصب دعاءنا على باروخ سبينوزا بموافقة الطائفة كلها.

وبوجود الكتب المقدسة ذات الستمائة وثلاثة عشر ناموساً المكتوبة بها، نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة. وليكن ملعونا نهاراً وليلاً، وفي نومه وصبحه، ملعوناً في ذهابه وإيابه، وخروجه ودخوله، ونرجو الله أن ينزل عليه غضبه وألا يتحدث إليه أحدٌ بكلمة أو يتصل به كتابه، وألا يقدم له أحد مساعدة أو معروفاً وألا يعيش أحد معه تحت سقف واحد، وألا يقترب منه أحد على مسافة أربعة أذرع»[1].

ثانيا: وقائع من التاريخ في تعامل فرق النصارى مع بعضها.

- بمجرد أن أصبحت المسيحية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية عام ٣١٥، دمرت العصابات المسيحية الكثير من المعابد الوثنية و قتلوا الكهنة الوثنيين.
- بين عام ٣١٥ و القرن السادس تم ذبح الكثير من الوثنيين.
- اشتهر كثير من القساوسة مثل مارك إريثوسا و سايرل من هليوبوليس بلقب " مدمرو المعابد".
- في عام ٣٥٦ صدر قرار بأن يعاقب بالإعدام كل من يقيم طقوس وثنية.

(١) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود. إسرائيل شاحاك، لإسلام والآخر من يعترف بمن ومن ينكر من د. محمد عمارة.

وكان الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس (٤٠٨–٤٥٠) يقوم بإعدام الأطفال إذا لعبوا ببقايا التماثيل الوثنية (و هو بذلك – حسب المؤرخين النصارى – فإنه "كان ينفذ التعاليم المسيحية بكل دقة...").

- في أوائل القرن الرابع الميلادي تم إعدام الفيلسوف سوباتروس بناءا على طلب الكنيسة.
- في عام ٤١٥ مزق جسد الفيلسوفة الشهيرة هيباتيا إرباً بشكل هستيري داخل كنيسة في الإسكندرية باستخدام شظايا الزجاج بواسطة عصابة نصرانية برئاسة كاهن نصراني يدعى بيتر.
- في عام ٧٨٢ أمر الإمبراطور كارل شارلمان بقطع رأس ٤٥٠٠ شخص لأنهم رفضوا اعتناق المسيحية.
- البيجنزيانس (أول حملة صليبية تهدف إلى ذبح مسيحيين): البيجنزيانس أو الكاثار اعتبروا أنفسهم مسيحيين حقيقيين و لكنهم لم يقبلوا حكم الكاثوليك والضرائب التي فرضوها ومنعهم لتحديد النسل. و قد بدأت حملة العنف ضدهم في يوليو ١٢٠٩ بقيادة البابا أنوسنت الثالث (و يعتبر أكبر مجرم حرب وإبادة و قتل جماعي حتى ظهور النازية). فقد دمر مدينة بيزرييه بفرنسا بمن فيها و ذبح كل سكانها. و قد بلغ عدد الضحايا ٢٠ إلى ٧٠ ألفا (منهم كاثوليك رفضوا تسليم من اتهموا بالزندقة من الجيران والأصدقاء).
- ثم لحقهم الآلاف في كاركاسون و مدن أخرى. و بعد ٢٠ عاما من الحرب أبيد جميع الكاتار (ما يوازي نصف سكان أورليان بجنوب غرب فرنسا). وبعد انتهاء الحرب عام ١٢٢٩ تم إنشاء محاكم تفتيش للبحث عن و القضاء على الفارين من الكاتار أو من تبقى منهم على قيد الحياة. و قد تم إعدام آخرهم حرقا عام ١٣٢٤. و قد قدر العدد الإجمالي للضحايا

مليون قتيل من الكاتار فقط.

- و قد ظهرت هرطقات أخرى كثيرة و تم إبادة معظم اتباع هذه الهرطقات بواسطة الكنيسة و يقدر عددهم بحوالي مائة ألف قتيل (لا يشمل مذابح العالم الجديد).
- القاضي الاسباني توركيمادا و هو قاضي بمحاكم التفتيش كان مسئولا بمفرده عن إعدام ١٠٢٢٠ فرد حرقا.
- جون هاس الذي كان معارضا لعصمة البابا و صكوك الغفران تم حرقه في عام ١٤١٥.
- أعدم البروفيسور هوبمابير حرقا عام ١٥٣٨ بفيينا.
- الراهب الدومينيكي جيوردانو برونو سجن لمدة سبع سنوات ثم حرق بتهمة الهرطقة في روما عام ١٦٠٠.
- في عام ١٢٣٤ فرضت الكنيسة ضرائب مجحفة علي الفلاحين في ستيدينج بألمانيا و لم يكونوا قادرين على دفعها ، فتم ذبح ما بين ٥ آلاف و ١١ ألف رجل و امرأة و طفل.
- في معركة بلجراد عام ١٤٥٦ تم ذبح ٨٠ ألف من الأتراك.
- في القرن الخامس عشر في بولندا تم نهب ١٨ ألف قرية بأوامر من الكنيسة – عدد الضحايا غير معروف.
- من أبرز الشخصيات الإصلاحية التي ظهرت؛ الطبيب والمصلح الأسباني ميخائيل سيرفيتوس والذي تأثر بحركة الإصلاح البروتستانتية وإنخرط فيها .ولكنه قطع شوطاً أبعد في طريق الإصلاح؛ حيث أعلن بطلان عقيدة التثليث ورفض ألوهية المسيح بشدة، وألّف كتابه "خطأ التثليث" في عام ١٥٣١م وفيه شبّه الرب الذي تدعو الكنيسة لعبادته بالوثن الخرافي "سربيروس" ذو الثلاثة رؤوس، وأطلق على الثالوث إسم "الوحش الشيطاني

ذي الرؤوس الثلاثة" ، و قام بالدعوة إلى التوحيد ونبذ التثليث.

فاتهمته الكنيسة والبروتستانت على السواء بالهرطقة والتجديف. ثم لم يلبث سيرفيتوس إلا وكتب كتاباً سماه "إعادة المسيحية" أظهر فيه شيئاً من التراجع عن أفكاره، لكنه لم ينقذه من العقوبة، حيث أمر المصلح البروتستانتي كالفن بإحراقه حياً على نار هادئة، وتم تنفيذ الحكم في جنيف سنة ١٥٥٣م.

كما ظهر في بولونيا وفي نفس تلك الحقبة الراهب واللاهوتي الإيطالي فاوستو باولو سوزيني (١٥٣٩ـ ١٦٠٤م): الذي إشتهر أيضاً باسم "سوسيان" أو "سوسيانوس". قام سوسيان بنشر كتاب إصلاحي انتقد فيه عقائد الكنيسة الكاثوليكية بشدة، وهاجم عقائد التثليث والتجسد والكفارة والصلب والفداء وسائر المعتقدات الكاثوليكية، ودعا إلى التوحيد الخالص ؟، وامتدت تعاليمه إلى نواح عدة، حيث انتشرت في هنغاريا (المجر) ثم بولندا و ترانسلفانيا (إقليم في رومانيا) ثم انتشرت منها إلى هولندا ثم بريطانيا و أخيرا إلى للولايات المتحدة الأمريكية. وعرف مذهبه اللاهوتي بإسم "السوسيانية" واتباعه بالسوسينيانيين، كما سماهم أعداؤهم بالآريوسيين الجدد؛ نسبة لآريوس ومذهبه القديم .وبعد وفاته جمعت كتابات سوسيان في كتاب واحد ونشرت في مدينة "روكوف" البولندية، عرفت باسم "العقيدة الروكوفية".

تعرض اتباع السوسيانية للاضطهاد بداية من سنة ١٦٣٨م، حيث أحرق الكثير منهم أحياء مع كتبهم، و حرموا من سائر حقوقهم المدنية .و في سنة ١٦٥٨ خُيّروا بين قبول الكاثوليكية أو النفي، فتوزّعوا في أطراف أوروبا، وظلوا فئات منفصلة لفترات طويلة، حتى بدأت هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث شكلوا الفرقة الشهيرة المعروفة الآن باسم التوحيديين.(The Unitarians)

جرائم الكنيسة في حق العلماء

تاريخ رجال الكنيسة الكاثوليكية مع العلم والعلماء في القرون الوسطى طويل وحافل بالجرائم والإبادة الجماعية في حق الإنسانية، وحينما كانت الكنيسة تمسك بيدها سلطة القرار فرضت سيطرة شبه كاملة على أوروبا لمدة ألف عام وفرض رجال الدين قيودا شاملة على العلماء وحرموهم من مزاولة أي نشاط خارج ما تسمح به مبادئ الكنيسة المسيحية:

- وكانت نتيجة ذلك اتهام الكثير من العلماء بالهرطقة والكفر وممارسة السحر، وقامت الكنيسة بمعاقبتهم بأبشع العقوبات.
- في زمن حكم رجال الكنيسة كانت تعتبر لديهم الأوبئة مثل الطاعون والكوليرا والجدري... إرادة إلهية لا يمكن مواجهتها.
- ولذلك لما ابتكر التطعيم ضد هذه الأمراض لقي معارضة شديدة من قبل الكنيسة، وألقت جماعة نصرانية قنبلة في منزل الطبيب (بولستون) الذي كان مركزه يقوم بتطعيم مرضى الجدري.
- كان الاعتقاد السائد لدى رجال الكنيسة أن العالم بدأ يوم الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد، ولما تبين لرجال الكنيسة أن العالم المتوفى (وكليف) يقول بأن عمر الأرض أكثر بمئات السنين، أخرجوا رفاة عظامه وطحنوها ثم نثروها في البحر حتى لا تنجس الأرض.
- في سنة ١٥٤٣م عندما أمر (كوبرنيق) بنشر كتاب له وهو في أيامه الأخيرة على فراش الموت. كتب فيه أن الأرض ليست هي مركز الكون، وأنه بإمكان الإنسان إذا نظر من نقطة من الفضاء إلى الأجرام السماوية بدت له تدور حول الشمس، ولوجدنا كذلك تفسيرا لضوء النجوم وحركة الكواكب، وبالتالي فإن الكواكب والنجوم هي من تدور حول الشمس وليست الأرض هي مركز الكون كما يسود الاعتقاد. وكل

هذه الحركة (نجوم وكواكب) بفعل دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس. هذا الكلام أغضب رجال الكنيسة وقوبل بسخرية واستهجان واتهم بضعف إيمانه بمسيحيته، وكان جزاءه أن حرم من الشهرة ومن ثمار اكتشافاته العلمية، ووضع مؤلفه في أدراج النسيان، وأضاف إليه رجال الدين عبارة " هذه ما هي إلا مجرد نظرية ,لا يجب أخذها في الحسبان".

- قبل أن ينتهي القرن ١٦ ظهر العالم (جيرانو برونو) ليكتشف في أبحاثه معطيات جديدة تضاف إلى أبحاث (كوبرنيق) وتؤكد نظرياته. ومن ثم أخذ على عاتقه بنشرها في أنحاء أوروبا متنقلا من مدينة إلى أخرى، كما أضاف إلى نظرية (كوبرنيق) قراءات فلكية تثبت صحتها وتدعمها، وطبق مبادئها على جميع الأجرام السماوية. وأضاف في نظريته الجديدة كون الأرض لا تدور حول نفسها فقط بل تدور حول الشمس التي تعد نجما صغيرا مقارنة بالنجوم الأخرى المنتشرة في المجرات، وقال باحتمال وجود كائنات أخرى تسكن الفضاء الخارجي.
- جرأة هذا العالم أدت إلى القبض عليه سنة ١٥٩٤م، وسجنه لمدة ستة أعوام في انتظار تقديمه إلى المحاكمة. وفي سنة ١٦٠٠م قدم إلى المحاكمة فأدانته بتهمة ما كان يعرف وقتذاك بالهرطقة والزندقة. رفض مبدأيا أمام المحكمة نوع الخطيئة الموجهة إليه.

ثم حكم عليه بالإعدام حرقا، ربط لسانه وجرد من ملابسه وقيدت يداه ورجلاه بقضيب من حديد ثم جيء به إلى ميدان الزهور وسط روما، ثم بدأ منفذو الإعدامات بحرقه حيا وسط حشود كثيرة من اتباع الكنيسة الذين كانوا يهتفون بالموت للكفار مثل (برونو).

- بعد انقضاء ٣٢ سنة من حرق (برونو) ظهر العالم الفلكي (جاليليو) في إيطاليا، يؤكد حقيقة ما ذهب إليه العلماء الذين أتهمتهم بالهرطقة بالأدلة

والبراهين القاطعة، غير أن اختراع جاليليو للتلسكوب وتجاربه الفلكية كانت أخبارها عمت أوروبا، وكان محل تقدير واحترام بين الناس، لذلك لما سمع بأخباره رجال الكنيسة تملكهم الخوف ولم يستطيعوا القيام بأي شيء مسئ ضده، ولا أن يجرؤ أحد على تقديمه للمحاكمة وقتله نظرا لآرائه المؤيدة للذين أعدموا من قبله. غير أنه لم ينج من المضايقات والتهديدات بالقتل وهو في سن السبعين من عمره، وأجبرته الكنيسة بالاعتراف علنا بخطيئته أمام الناس وعدم دقة أبحاثه العلمية نظرا لكبر سنه، لكي تبقى الحقيقة الثابتة ما يقوله رجال الكنيسة من كون الأرض هي مركز الكون وكل الكواكب والنجوم تدور حولها .

- من أغرب الظواهر التي كانت تقع في عدة أماكن في العالم تحول الماء إلى لون من الألوان، وفي سنة ١٧٧٠م حدث ذلك في أوروبا. عندما تلقت الأكاديمية الملكية للعلوم بتحويل الماء إلى لون أحمر أرجع رجال الكنيسة ذلك إلى غضب الله، ولما تكرر وقوع هذه الظاهرة في السويد قام أحد العلماء بدراستها وانتهى إلى نتيجة مفادها أن احمرار الماء تعود أسبابه إلى وجود حشرات ذات أحجام صغيرة تطلق مادة حمراء، ولما علم كبير الأساقفة بنتائج الدراسة وصفها بالعمل الشيطاني ورفض نتائجها جملة وأصر على أن هذه الظاهرة غير طبيعية، ثم مورست على هذا العالم ضغوطات وتهديدات بالقتل، ليتراجع في الأخير عن نتائج تقريره ويسند ذلك إلى أمر مجهول تتجاوز مستواه العلمي[1].

(١) انظر الإسلام والآخر د. محمد عمارة ٩٢ وما بعدها.

الخـاتـــمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من البحث.

أهم النتائج من البحث:

- افتراق اليهود والنصارى واختلافهم في دينهم كان نذير شؤم عليهم في دنياهم وفي أخراهم.
- جرأة أهل الكتاب على الله تعالى وقولهم على الله تعالى قولا عظيما وافتراؤهم في دين الله كان سببا لضلالهم وذهاب الخير من بين أيديهم.
- كتمان الحق والسكوت على الباطل من أسباب سخط الله ونقمته.
- عدم العمل بدين الله تعالى واتباع شرعه ومخالفة أمره يؤدي إلى ذهاب الدين الصحيح، وانتشار الباطل كما حدث بين اليهود والنصارى.
- اليهود والنصارى حرفوا كتبهم وبدلوا كلام الله تعالى فألقى الله بينهم العداوة والبغضاء، وجعلهم فرقا متناحرة متخاصمة.
- قلوب الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى امتلأت بالحقد والعداوة فيما بينهم، بل حتى على الإنسانية كلها، مما أذاق كثيرا من البلاد على أيديهم الدمار والهلاك والإذلال.
- حرف اليهود كتبهم وملأوها بالحقد والضغينة على الإنسانية كلها فكانوا سببا في كثير من الفتن والمؤامرات في كثير من البلدان.
- كانت بداية النصرانية بعد أن اعتنقتها الدولة الرومانية شقاقا بين أصحابها، وقتلا وتذبيحا بين طوائفها.
- عملت الكنيسة على التحكم في كل أمور العباد السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية بخرافاتها وباطلها، واستبدت بأحوال الناس فحولت حياتهم إلى جحيم وتخلف وجمود.

- كانت ردة فعل أوربا ضد الكنيسة ردة عن الكنيسة ودينها ومحاربة لكل مظاهر التدين في العالم وخوفا من انتشار الدين، وهذه من إحدى مظاهر التخوف من الإسلام في أوربا خاصة عند عامة الناس الذين ينظرون للإسلام نظرتهم للكنيسة ولدين الكنيسة، ولرجال الكنيسة.
- الارتباط بين التكفير والعنف والتدمير فاليهود والنصارى الذين كفروا بعضهم أو غيرهم لم يتورعوا عن سفك دمائهم والتنكيل بهم بأبشع الطرق كما ذكر في البحث.
- الارتباط بين التكفير والعنف والجهل بدين الله الصحيح والتكالب على الدنيا وحب الزعامة والرياسة كما عرف بين اليهود والنصارى.
- النفوس التي تنزع إلى التكفير والعنف هي في الأغلب التي ملأت بالحقد والضغينة وعدم حب الخير للناس.
- من أخطر الأمور التي أدت إلى التكفير والعنف فساد أهل الدين من الأحبار والرهبان ومن يتزيون بزيهم، فحينما يتقلد أمور الناس الدينية جهالهم وأصحاب الهوى فيهم وذوو النفوس المريضة والقلوب السقيمة فتلك من أخطر الأمور على الأمم كما حدث في تاريخ اليهود والنصارى.

أهم التوصيات:

- الاتباع السليم لدين الله تعالى والفهم الصحيح يحفظ الأمة من الانزلاق في تيارات الفتن والبعد عن دين الله تعالى.
- بيان أن حب الدنيا واتباع الهوى من أكبر المضلات عن دين الله تعالى وهذا ما وقع فيه اليهود والنصارى من قبل فأضلهم عن دين الله تعالى وأوقعهم فيما أوقعهم فيه من فتن ومحن.
- الحرص على وحدة الأمة على الحق والبعد عن الفرقة والاختلاف.
- سلامة الصدور وخلوها من الحقد والحسد والتنافس على زينة الدنيا من أهم عوامل الترابط والتماسك بين المسلمين

- العمل على إشاعة روح الأخوة والمحبة بين أهل الإسلام فذلك من عرى الإيمان ومن عوامل قوة الأمة ونهضتها.
- أهمية مناقشة أصحاب الفكر المنحرف البعيد عن المنهج الصحيح من أهل العلم وأصحاب الخبرة والحنكة حتى يردوهم عن غيهم ولا يتركوهم للمنحرفين المضلين عن سواء السبيل.
- العمل على نشر العلم الشرعي المتعلق بمعرفة دين الله تعالى الصحيح بكافة الأساليب والوسائل الممكنة حتى لا يترك الناس لا سيما الشباب فريسة للجهل والجهلاء بدين الله تعالى.
- أهمية إشاعة جو من الحوار والود خاصة بين العلماء العاملين وبين جميع فئات الأمة لاسيما الشباب.
- التأكيد على منهج الإسلام في الدعوة وبيان الحق وأنه يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن.
- التأكيد على مبدأ الإسلام في الرفق والرحمة وأنه مما ميز الله به رسوله محمد – ﷺ –.
- أهمية دفع الشبه التي تلصق بالإسلام والمسلمين والإسلام براء منها.
- التعرف على تاريخ الملل والفرق السابقة التي تدعى لنفسها ما ليس لها وتتهم الإسلام والمسلمين جزافا ببيان حقيقتها وتاريخها.
- أهمية معرفة تاريخ الأمم السابقة والحذر مما وقعت فيه من فتن وضلالات كما كان حال اليهود والنصارى من قبل.
- الحذر من الغلو بكل اشكاله وصوره والاستمساك بالتوسط والاعتدال في الأمور كلها.

أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- الإسلام والآخر من يعترف بمن ومن ينكر من د. محمد عمارة.
- تفسير القرآن العظيم الإمام بن كثير.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي.
- جامع البيان في تأويل القرآن الإمام الطبري.
- الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبي.
- الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود. إسرائيل شاحاك.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.الإمام شهاب الدين الألوسي.
- صحيح الإمام البُخَارِي.
- صحيح الإمام مسلم.
- الكتاب المقدس.
- الكنز المرصود في قواعد التلمود. مصطفى الزرقا.
- محاسن التأويل. الإمام البغوي.
- مسند الإمام أحمد.
- موسوعة اليهود واليهودية والهيونية د. عبد الوهاب المسيري.

ظاهرة التكفير
الأسباب .الآثار .العلاج